18 جابريللا ميسترال

الشاعرة التشيلية الفائزة بجائزة نوبل في الأدب عام 1945م

وهي الشاعرة التي مزجت بين تجربتها الخاصة وبين الثقافات الإبداعية المتميزة وبين علوم التربية والطفولة .

ورغم شعرها الحزين إلاَّ أنَّه ينبعث منه ضوء أمل وحب وحنين .

«الدين مهم للغاية في إعطاء معنى للحياة الاجتماعية، ومن أجل إنقاذ الناس» .

تمهيد :

شاعرات أمريكا اللاتينية ودورهن في النضال والإبداع :

لعبت المرأة في أمريكا اللاتينية دوراً مهماً في النضال من أجل حصول شعوبها علي حريتها التي فقدتها طوال عصور الاستعمار، التي بدأت بالغزو الإسباني منذ وصول «كولومبس» عام 1492م إلي الأرض التي أطلقوا عليها اسم «العالم الجديد» . وما زال دور المرأة في أمريكا اللاتينية امتدادًا لدورها القديم ؛ فهي علي سبيل المثال تُقاتل مع الرجل جنباً إلى جنب في حركات التحرُّر التي كانت علامة بارزة خلال حقبة الثورة في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم . بل منهن من قاد حركة النضال في بلادها، غير مبالية بالمعاناة التي يمكن أن تجرها إليها، كما فعلت المناضلة «روجوبرتامونتشو» تلك المرأة ذات الأصول الهندية، التي تحمل شالها المرصَّع بألوان الطيف وتقود حركة

obeikandl.com

النضال في «جواتيمالا»، مُطالبة بحقوق «الهنود الحمر» أصحاب البلاد الأصليين، لذلك لم يكن حصولها على جائزة نوبل للسلام عام 1992م من فراغ، ولم يوقفها اغتيال والدها وخطف ابن شقيقتها الطفل من النضال ؛ لذلك لم يكن غريبا أن يكون للمرأة في أمريكا اللاتينية دورها الفاعل أيضاً في عالم الإبداع الفني أو الأدبي .

بدأت الإبداعات الأدبية في أمريكا اللاتينية للشاعرة «سورخوانا اينيس دي لاكروت» في القرن السابع عشر، ثم توالت مشاركات المرأة في حركة مجتمعها المتطور، وأبدعت في العديد من مجالات الفنون .

كانت الشاعرة «جابريللا ميسترال» Gabriela Mistral أول مَنْ ألقى الضوء على أهمية الأدب في أمريكا اللاتينية، وفتحت باباً للاهتمام بهذا الأدب، وكانت أيضاً أول مَنْ نال جائزة نوبل في تلك القارة الجديدة .

لكن وجود المرأة الشاعرة في الأدب بدأ حديثًا، عندما نشرت الشاعرة «ديلميرا أجوستيني» Delmira Agostini من الأرجواي كتابها «الكتاب الأبيض» El libro Blanco حيث احتوي علي موضوعات نسائية مكثفة، ويُعتبر هذا الكتاب أهم ما نُشر في مجال الشعر في أمريكا اللاتينية والشاعرة مولودة بـ «أورجواي في عام 886 م، وتوفيت في عام 1914 م تقول الشاعرة «ديلميرا أجوستيني» في قصيدتها «ألفة» :

سأقصُّ عليك أحلام حياتي
تلك التي أحلمها في أعماق الليل الأزرق
ترتعش روحي العارية بين يديك
وعلي كتفيك يثقل صليبي

ثم جاءت أسماء بارزة استطاعت أن تكتب اسمها في سجل شعر أمريكا اللاتينية الخالد منهن : «خوليا دي بورجوس» (بورتوريكو 1914م) حيث تقول في إحدى قصائدها :

أيها البحر لا تنتظر

سقط الحلم مني
وصوتي فراشات ميتة
القلبُ يصعدُ في حلقي
ليهزم أضواء الفجر في عينّي .

«جابرييلا ميسترال» .. الميلاد وذكريات الطفولة :

ولدت«لوسيلا جودوا ألكاياجا»، وهذا اسمها الحقيقي في إقليم كأوكي شمالي تشيلي، وهي المنطقة التي تحدثت عنها كثيرًا في أشعارها، وذلك في السابع عشر من إبريل عام 1889م .

وقد استعملت العديد من الأسماء المستعارة عند الكتابة واستقرت منها على واحد هو «جابرييلا ميسترال» .

عاشت في كنف أسرة تهتم وتعشق الأدب عشقاً كبيرًا، فقد كان والدها «جودوا ألكاياجا» شاعرا معروفاً وعنه ورثت حب الشعر وكتابته الذي أبدعت فيه عظيم الإبداع .

العمل في الصحافة :

اضطرت «جابرييلا» أن تعمل في سن مبكرة حتي تساعد أسرتها، ففي عام 1905 عملت في الصحافة وهي لا تزال في سن السادسة عشر، وقد أكسبها العمل الصحفي قدرة في التعامل مع مستويات اللغة المُتعدِّدة، وهذا أفادها في نظم الشعر، وجعله يتسم بالبساطة، وإنسانية الرؤية، ورقة الأداء، وخصوبة الخيال .. كما اشتهرت ببلاغتها في الخطابة .

جابرييلا ميسترال «تترك أثراً عظيماً في مناهج التربية والتعليم:

بعد أن أكملت «جابرييلا» تعليمها التحقت بالعمل كمُعلِّمة فأضفت على مهنتها كمربية ومُعلِّمة بُعداً إنسانياً شعريًا جعلها تترك أثراً كبيرًا وواضحاً في مناهج التعليم، ليس في تشيلي فحسب بل امتد أثرها التعليمي إلى كافة أنحاء أمريكا اللاتينية .

وقد ظلت تعمل كمُعلِّمة بين عامي 1910م وحتي 1921 م، وارتبطت في هذه الآونة بالكثير من الفقراء أمثالها .

وفي عام 1922م دعتها الحكومة المكسيكية لتعمل بالتدريس لمدة ثلاثة أعوام، فأصرت أن تعمل في المدارس الابتدائية وعملت علي تطوير المناهج، ومن المكسيك رحلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا وإيطاليا . وتركت «جابرييلا» التدريس في عام 1926م ؛ ولكنها لم تترك شؤون التربية والتعليم قط، حيث ظلت تتنقل بين البلاد لحضور المؤتمرات العلمية والتربوية.

جابرييلا ميسترال والطفولة :

من أهم آثار «جابرييلا ميسترال» كمُعلِّمة شاعرة أنَّها جذبت انتباه الأطفال إلى ضرورة الاتصال بالطبيعة والامتزاج بها ؛ فالطبيعة بما توحي إليه من عوالم تستطيع تكوين عقلية ونفسية سوية تمكنهما من التعامل مع المحيط الخارجي بنجاحٍ .

وقد انعكس اهتمامها بأسس التربية والتعليم كشاعرة في الكثير من قصائدها، مثل تلك القصيدة عن الطفل المكسيكي التي تقول فيها :

عيناه من الياقوت الأسود
تلقى عليَّ نظرة مليئة بالحياة الأبدية
وأنا، بمشاعره الأبدية
أقبضه بين يديَّ .
وأُداعب شعره
وبقدر ما هو ناعم بقدر ما ينفصلني عنه
أروح أجمع في شعره
كل الحضارات المطموسة

لم تنقطع صلتها بالطفولة إلى أن جاءت فرصتها العظيمة في أن تنشر مقالات عام

1928م عن حقوق الطفل، وكيفية معاملته المعاملة اللائقة به التي تجعل منه إنساناً مُحبا للحياة والبشر .

وقد اتصلت «جابرييلا» بعالم السياسة والدبلوماسية حتى وصلت إلى منصب مهم في عصبة الأمم المتحدة (الأمم المتحدة حالياً) عام 1945م .

ثلاث صدمات في حياة «جابرييلا ميسترال» :

في مقتبل شبابها تعرَّفت «جابرييلا» علي شاب أحبته بجنون، ولكنه ما لبث أن انتحر؛ فأصابها هذا الحدث الدامي بحالةٍمن الإلهام الجنوني المتدفق .

أمَّا الصدمة الثانية المروعة أيضاً في حياة الشاعرة هي انتحار ابنها بالتبني في عام 1934م . كما صدمت كذلك في انتحار الأديب النمساوي «ستيفان زفايج» الذي كان يعيش في البرازيل والذي كان قريبًا للغاية من «جابرييلا» ؛ فهو أستاذها ومُعلِّمها ومثلها الأعلى؛ لذا فقد صُدمت صدمة عنيفة بانتحاره .

عالم «جابرييلا ميسترال» الشعري :

دواوين : أجراس الموت، والمرثيات :

أصدرت الشاعرة ثلاثة دواوين تحمل عنوان «أجراس الموت» التي نشرت في عام 1914م، وكانت سببًا في شهرتها . وتُعتبر هذه الدواوين بمثابة النهل الذي ولدت منه أغلب الأشعار الحزينة ودواوين المرثيات الحديثة . وفي عام 1923م أصدرت ديوانها «مرثيات» .

ديوانا : تالا، وأشعار دينية :

الطبيعة بدت واضحة في جزء من قصائدها المنشورة في ديوان «تالا» المنشور في عام 1938 م، حيث بدت الشاعرة شغوفة بحضارة الانديز التي قدَّست الشمس، وبالجو الاستوائي، وبحر الكاريبي، وأيضا بمزارع الذرة . وقد أطلقت «جابرييلا» على نفسها تسمية «حكاءة العالم» أثناء تلك الفترة التي عاشتها في المكسيك . وفي عام 1940م أصدرت الشاعرة ديوانها : «أشعار دينية» .

قراءة نقدية لشعر «جابرييلا ميسترال» :

كان مفتاح الدخول للشاعرة هو تدينها، فهي تؤمن ويؤمن دائماً بأن : «الدين مهم للغاية في إعطاء معني للحياة الاجتماعية . ومن أجل إنقاذ الناس» . ولذا ففي أشعارها استعارات كثيرة من آيات وأحداث الكتاب المقدس .

وجاءت أهميتها كشاعرة من أنَّها مزجت الشعر بالفلسفة الشرقية منذ أن اهتمت بأشعار «طاغور»، وهذا ظهر جليًا في العديد من دواوينها .

ونحن بالطبع أمام شاعرة مزجت في داخلها بين التجربة الخاصة الغنية وبين الثقافات الإبداعية المتميزة وبين علوم التربية والطفولة .

كما أن أشعارها أثارت جدلاً دائماً، فيما تتضمَّن رسائل الحب بين البشر، والاحترام، والطاعة، وكم جذبت انتباه الأطفال لضرورة الاتصال بالطبيعة .

ورُغم أن الحزن هو ركيزة أساسية في إبداعها إلاَّ أن أملاً وطاقة ضوء تطل دائماً بين ثنايا أشعارها ودواوينها .

ولذا فإن الناقد الفرنسي الكبير «كلود فيل» يقول عن أشعارها : «إنَّ المأساة هي عمود الشعر عند جابرييلا ميسترال، وقد امتزجت هذه المأساة من خلال حياتها الخاصة، وارتباطها بالبسطاء من أبناء شعبها»، شأنها في ذلك شأن كل شاعرات أمريكا اللاتينية .

فوز «جابرييلا ميسترال» بجائزة نوبل في الأدب :

فازت الشاعرة «جابرييلا ميسترال» بالجائزة العالمية في عام 1945م، نظراً لإبداعها المتميز الذي أضاف لشعر قارة أمريكا اللاتينية أبعادًا جديدة ورؤي غير مسبوقة، وهي أول شاعرة من هذه القارة تفوز بنوبل في الأدب، وهي خامس امرأة تفوز بهذه الجائزة، فقد سبقها كل من : «سلمى لاجيرلوف» الروائية السويدية عام 1909م، و«جراتسيا ديليدا» الروائية الإيطالية عام 1926م، و«سيجريد إندست» الروائية النرويجية عام 1928م، و«بيرل بيك» الروائية الأمريكية عام 1938م .

الرحيل المُفجع :

عندما جاءتها جائزة نوبل كانت «جابرييللا ميسترال» امرأة حزينة ومحطمة ومصابة بمرض خطير لم يمهلها سوي سنوات قليلة . ورغم أن بلادها قد احتفت بها دوماً وفي مناسبات عديدة، خاصة حين عودتها من رحلة علاج عام 1954م، إلا أن المرض والأحزان كانا ثقيلين عليها . توفيت الشاعرة الكبيرة في مستشفي بمدينة نيويورك في يناير عام 1957م .

هذا، وقد قال عنها الرئيس المكسيكي الأسبق «ألفونسو رييس» : «إنَّنا نجد فيها سلوك القديسات اللاتي يواجهن رُعب التاريخ .. نجد فيها الإيمان بالإنسان، والوعد بأرض يملؤها عبق السعادة لكل البشر».

obeikandl.com